آياتُ الرُّوح في القرآنِ الكريمِ

دراسة موضوعية

إعداد

ياسِر بن حُسين بن مِجباس العزّاوي

المدرس المساعد في كلية العلوم الإسلامية / الفلوجة

1429هـ-2008م

المقدمة

الحمد لله الذي أنار قلوب عباده المتقين بنور كتابه المبين، وزكى أرواحهم ونفوسهم بالمعاني والنور المتين، وجعل القرآن شفاءً لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين.

والصلاة والسلام على صاحب الروح الطاهرة والمعاني العظيمة السامية، خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد النبي العربي الصادق الأمين، الذي فتح الله به قلوباً غلفاً، وأعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم البعث والنشور، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه البررة الهادين المهديين ومن تبعهم بإحسان وسار على سيرهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فبينما كنت أتصفح كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم –التي بين يدي– باحثا لي عن موضوع لأكتب فيه، استوقفني موضوع لا يخلو أهمية عن بقية موضوعات القرآن الكريم وهو الروح في القرآن، وبعد النظر في الآيات الخاصة به وجدت نفسي أغوص في بحر لجي عظيم تناهى أطرافه، ووجدتني أتنقل من عالم إلى عالم ذاك أنني في رحاب كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من رب العالمين.

فجمعت الآيات في بحث مقتضب علمي مستنبطاً منها أهم الفوائد التي يمن الله بها عليَّ، مستعينا به تعالى، وعالة على العلماء الأفذاذ قد كان لهم الشرف في العلوم التي تتعلق بكتاب الله العزيز.

وقد أسميت دراستي هذه (**آيات الروح في القرآن الكريم دراسة موضوعية**) وقد حاولت فيها التعرف على بعض أوجه الإعجاز البلاغي، وأسرار القرآن الكريم.

واقتصر البحث على دراسة كل آية ورد فيها لفظ (رُوح) -بضم الراء- سواء أكان مضافا أو معرفا أو نكرة أو موصوفا، متناولا الجانب الموضوعي فيها ضمن الأمور الآتية:

إخراج معنى الألفاظ لغويا بما يقرب من فهم الآية، وسبب النزول إن وجد لكل آية منها، وبيان تفسير الآيات تفسيراً مبسطاً إجماليا، أذكر فيه خلاصة أقوال المفسرين دون الإحالة الى واحد منهم لإجماعهم على المعنى الذي أذكره، ثم أبين بعض أوجه البلاغة من كل مجموعة من الآيات التي تدخل تحت إطار وفلك وموضوع واحد، ثم أختم بتبيان أهم الفوائد المستنبطة من الآيات الكريمة.

وكانت الدراسة على فروع خمسة، كل فرع حوى الآيات ذات الموضوع الواحد والمعنى المتشابه.

أما الفرع الأول فكان بعنوان: الملائكة، أما الفرع الثاني فكان عنوانه الأنبياء، ثم عقبه الفرع الثالث: والذي كان بعنوان سر حياة

البشر، ثم جاء الفرع الرابع بعنوان النور والرحمة، ثم ختم بالفرع الخامس بعنوان الوحي والقرآن.

ولم يكن ترتيبي بهذه العنوانات عشوائيا وإنما كان معتمدا على الترتيب النزولي للقرآن الكريم على ما ذكره أهل العلم في كتبهم.[1]

وفي النهاية ختمت البحث بخاتمة وضعت فيها أهم ما توصلت إليه من مفهوم الروح في القرآن الكريم.

الفرع الأول: الملائكة

وردت آيات كثيرة في هذا المجال والمعني بها ملك من الملائكة العظام وهو سيدنا جبريل صاحب الوحي والقربة من الله تعالى، على اختلاف بين أقوال المفسرين ومذاهبهم وكما سيأتي بيانه لاحقا، والآيات حسب الترتيب النزولي للقرآن الكريم هي كما يأتي:

١. قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[2]

٢. قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾[3]

٣. قال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[4]

---

(١) البرهان في علوم القرآن:١/١٩٣، تنزيل القرآن: صفحة٢٣-٣١.
(٢) سورة القدر الآية ٤.
(٣) سورة مريم: الاية ١٧.
(٤) سورة الشعراء: الآية ١٩٣.

٤. قال: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [١]

٥. قال: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [٢]

٦. وقال: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [٣]

٧. وقال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [٤]

٨. قال: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [٥]

٩. وفي سورة أخرى قال عز وجل: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

---

[١] سورة النحل: الاية ١٠٢.
[٢] سورة المعارج: الاية ٤.
[٣] سورة النبأ: الاية ٣٨.
[٤] سورة البقرة: الاية ٨٧.
[٥] سورة البقرة: الآية (٢٥٣).

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1]

أولا: معاني الألفاظ:

١. الروح: قال الفراهيدي[2]: ((الروح: النَّفْسُ التي يحيا بها البدن. يقال: خرجت روحه، أي: نفسه، ويقال: خرج فيُذكَّر، والجمع أرواح)).[3] والرُّوحُ والنَّفْسُ واحد، غير أَن الرُّوح مذكر والنفس مؤنثة عند العرب[4]. والرَّوح والرُّوح في الأصل واحد، والرَّوْحُ بالفتح من الاستراحة وكذا الرَّاحَةُ، والرَّوْحُ والرِّيْحانُ الرحمة والرزق والطيّب، تقول: مكان رَّوحاني: أي طيب[5]، وجُعِل الرُّوح اسما للنَّفَس، وذلك لكون النَّفَس بعض الرُّوح، وجُعِل اسما للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار.[6] ويسمى القرآن والوحي وعيسى وآدم وجبرائيل عليهما السلام روحا؛ لأَن به حياة من موت الكفر، فصار بحياته

---

[1] سورة المائدة: (١١٠).
[2] الفراهيدي: الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري اللغوي صاحب العروض والنحو، صدوق عالم عابد، من السابعة مات بعد الستين وقيل سنة سبعين أو بعدها. تقريب التهذيب:١/١٩٥برقم ١٧٥٠.
[3] العين: مادة روح، ٣/٢٩١.
[4] لسان العرب: مادة روح، ٢ / ٤٦٣.
[5] ينظر مختار الصحاح: مادة روح، ص٢٦١.
[6] ينظر المفردات في غريب القرآن: ص٢٠٥.

للناس كالرُّوح الذي يحيا به جسدُ الإنسان[1]. والنسبة إلى الملائكة والجن رُوحانِيٌّ –بضم الراء– والجمع رُوحانيون، وكذا كل شيء فيه روح رُوحاني بالضم[2].

٢. (تنزَّل): نزل: النُّزُول: الحلول، وقد نَزَلهم ونَزَلَ عليهم ونَزَل بهم يَنْزل نُزُولاً ومَنْزَلاً، ومَنْزِلاً –بالكسر– شاذ؛ وتَنَزَّله ونَزَّله وأَنْزَلَهُ غيره واسْتَنْزَلَهُ بمعنى. قال سيبويه[3]: وكان غير واحد يفرق بين نَزَّلْت وأَنْزَلْت، ولم يذكر وجهَ الفَرْق، وقال غيره: لا فرق عندي بين نَزَّلْت وأَنزلت إلاَّ صيغة التكثير في نزَّلت، والتنزُّل: النُّزول في مُهْلة. يقال: نزلْت عن الأَمر إذا تركته كأَنك كنت مستعلياً عليه مستولياً، والنَّزْلة: المرة الواحدة من النُّزول، والتَّنْزِيلُ الترتيب، كقوله تعالى: (ولقد رآه نَزْلة أُخرى)[4] قالوا: مرة أُخرى.[5] وعلى هذا يكون نزّل نزلة مرة مرة بعد أخرى في مهلة وترتيب.

٣. (سويا): السَّوَاءُ العدل، وسواء الشيء وسطه، قال الله تعالى: (في سواء الجحيم)[6] وسواء الشيء غيره، تقول: مكان سَوًى وسِوًى وسَوَاءٌ، أي: عدل ووسط ووسط فيما بين الفريقين، وسَوَّيْتُ الشيء تَسْوِيَةً فاستَوَى، سَوَّى الشيءَ وأَسْواهُ جعلَه سَوِيّاً، ورجلٌ سَوِيٌّ الخَلْق والأُنثى سَوِيَّةٌ أَي مُسْتَوٍ وقد استَوى إذا كان

---

(١) ينظر لسان العرب:مادة روح، ٤٦٣/٢.
(٢) ينظر مختار الصحاح: مادة روح، ص٢٦١.
(٣) سيبويه: هو أبو بشر عمرو بن عثمان،من أعلم المتقدمين بالنحو، تلميذ الخليل وعيسى ابن يونس، وسيبويه لقب فارسي معناه بالعربية رائحة التفاح، توفي سنة(١٨٠هـ) على الأصح. ينظر: الأعلام: ٨١/٥.
(٤) سورة النجم: آية ١٣.
(٥) ينظر لسان العرب:مادة نزل، ٦٥٦/١١-٦٥٩.
(٦) سورة الصافات: الاية ٥٥.

خَـلْقُه وخَـلْق ولده سواء، واسْتَوَى من اعوجاج، واسْتَوَى الشيء اعتدل، والـمُستَوي التامُّ فـي كلام العرب الذي قد بلغ الغاية فـي شبابه وتمامِ خَـلْقِه وعقلِه.[1]

٤. (القُدُس): القُدُسُ – بسكون الدال وضمها– الطُهر اسم ومصدر، ومنه قيـل للجنة: حظيرة القدس، وهو تعالى الـمتَقَدِّس والقُدُّوس والـمُقَدَّس. والتَّقْدِيسُ: تنزيـه الله عزوجل. والقُدْسُ: البركة، فالتقديس التَّطْهِير والتَّبْريك، وبيـت المَقْـدِس يشـدد دالُهُ ويخفف، والقَدَس –بالتـحريك–: السَّطْل بلغـة أَهـل الـحجاز؛ لأَنـه يتطهـر فـيه. ومن هذا بـيت الـمَقْدِس أَي البـيت الـمُطَهَّر، أَي: الـمكان الـذي يُتطهَّـر بـه من الذنوب. ورُوحُ القُدُس: جبريل، علـيه السلام؛ لأَنه خُـلِقَ من طهارة.[2]

٥. (تعرُج): عَرَجَ فِي السُلّم وعلى الشيء يَعْرِج يعرُج عُرُوجـاً ارتقـى، والتَّعْـرِيجُ على الشيء الإقامة عليه، وانْعَرَج الشيءُ: مال يَمْنَة ويَسْرة وانعطف، وانعـرَج القـوم علـى الطريـق: مـالوا عنـه. والمِعْـرَاجُ السـلّم، ومنـه ليلـة المعـراج، والجمـع مَعَـارِجُ ومَعَارِيجُ. والمَعَارِجُ أيضا المصاعد وعَرَج الشيءُ، فهو عَرِيج: صعد وارتفع وعَلا.[3]

٦. (قفينا): القَفَا –مقصـور– مـؤخر العنـق، يـذكر ويؤنـث، والجمـع قُفِـيٌّ – بالضم–،وأَقْفاءٌ وأَقْفِيةٌ وهو على غير قياس؛لأنـه جمـع الممـدود كأكسـية،وقَفا أثـره اتبعه وبابه عدا وسما،وقَفَّى على أثره بفلان،أي:اتبعه إياه وذهب به،ومنـه قَـوافِي الشعر؛لأن بعضها يتبع اثر بعض،واقتَفى أثره وتَقَفَّاهُ، أي: تبعه.[4]

---

[1] ينظر لسان العرب:مادة س وا،١٤/٤١٥، ومختار الصحاح:مادة س وا،ص١٣٦.
[2] ينظر لسان العرب:مادة ق دس،٦/١٦٨-١٦٩، ومختار الصـحاح:مـادة ق د س، ص٢١٩.
[3] ينظر لسان العرب:مادة ع رج،٢/٣٢٠ -٣٢١، ومختار الصـحاح: مـادة ع رج، ص١٧٧.
[4] ينظر لسان العرب: مادة ق ف ا، ١٥/١٩٤، ومختـار الصـحاح: مـادة ق ف ا، ص٢٢٨.

٧. (أيدناه): الأَيْدُ والآدُ: القوة، آد يَئِيد أَيْداً إذا اشتد وقوي، والتأييد من الأيد وهو القوة، كأنه يأخذه معه بيده في الشيء الذي يقويه به.[١] والتأييد أيضاً مصدر أَيَّدته أي: قوّيته، وآيَدْتُك، أي: قوّيتك تقول منه: آيَدْته على فاعَلْته وهو مؤيِّدٌ. وتقول من الأَيْد: أَيَّدته تأْييداً، أي: قوَّيته، والفاعل مؤَيِّدٌ وتصغيره مؤيِّد أيضاً والمفعول مُؤَيَّد.[٢]

٨. (كهلاً): الكَهْلُ: الرجل الذي جاوَز الثلاثين ووَخَطه الشيب. وفي فضل أَبي بكر وعمر، رضي الله عنهما سيِّدا كُهول الجنة، وقيل: هو من زاد على ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين؛ وقد اكْتَهَلَ الرجلُ وكاهَلَ إذا بلغ الكُهولة فصار كَهْلاً.[٣]

٩. (الأكمه): الأَكْمَهُ الذي يولد أعمى وقد كَمِهَ من باب طرب[٤]، والكَمَه في التفسير: العَمَى الذي يُولَد به الإنسانُ. كَمِهَ بَصَرُهُ، بالكسر، كَمَهاً وهو أَكْمَه إذا اعْتَرَتْهُ ظُلْمَة تَطْمِسُ عليه. وفي الحديث: ((عن أبي أمامة نهى رسول الله ﷺ عن قتل عوامر البيوت إلا ما كان من ذي الطفيتين والأبتر فإنّها يُكْمِهانِ الأَبْصارَ وتطرح منهن النساء))[٥]، وربما جاء الكَمَه في الشَّعْرِ العَمَى العارض، وقد يجوز أَن يكون مُسْتعاراً من قولهم كَمِهَتِ الشمسُ، إذا عَلَتْها غُبْرَةٌ فأَظْلَمت كما تُظْلِمُ العينُ إذا عَلَتْها غُبْرةُ العَمَى، ويجوز أَيضاً أَن يكون مستعاراً من قولهم كَمِهَ الرجلُ

---

[١] ينظر التعاريف: ١٥٧/١.
[٢] ينظر لسان العرب: مادة أود، ٧٦/٣.
[٣] ينظر لسان العرب: مادة كهل، ٦٠٠/١١، ومختار الصحاح: مادة ك هـ ل، ص٢٤٢.
[٤] ينظر لسان العرب: مادة كمه، ٥٣٦/١٣، ومختار الصحاح: مادة ك م هـ، ص٢٤١
[٥] رواه أحمد: ٥/ ٢٦٢ برقم [٢٢٣١٦]، قال في مجمع الزوائد: ٤/ ٤٨ ((رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه فرج بن فضالة وقد وثق على ضعفه)).

إذا سُلِبَ عَقْلُه،لأَنّ العينَ بالكَمَه يُسْلَبُ نُورُها،وفي اللغة:أَنّ الكَمَهَ يكون خِلْقةً ويكون حادِثاً بعد بَصَرٍ.[1]

ثانياً: أسباب النزول:

بعد التتبع في مظان هذا المجال لم أجد من المفسرين من ذكر لهذه الآيات سببا للنزول.

[1] ينظر لسان العرب:مادة كمه،٥٣٦/١٣.

ثالثا: التفسير:

ورد لفظ (الروح) فيما سبق من الآيات بصيغ مختلفة فقد جاء معرفا بـ (أل) والإضافة، وجاء مضافا وموصوفا مرة أخرى. واختلفت أقوال العلماء بالمقصود والمعني على أقوال:

الأول: أنه جبريل عليه السلام.

الثاني: أنه صنف من الملائكة جعلوا حفظة على سائرهم وأن الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة، وقال مقاتل: هم أشرف الملائكة وأقربهم من الله تعالى.

الثالث: أنهم جند من جند الله عز وجل من غير الملائكة.

الرابع: هم خلق عظيم من خلق الله تعالى يأكلون الطعام ولهم أيد وأرجل ليسوا بملائكة،[1] وهذان القولان –الثالث والرابع– بعيدان ليس لهما دليل، – والله على كل شيء قدير–.

فعلى القولين –الأول والثاني– يكون المقصود بالروح اما ان يكون ملكاً من الملائكة وهو عام أو أن يكون جبريل وهو خاص وهو ما ذهب إليه جل المفسرين[2]، وأقرب إلى المعنى الظاهر من الآيات الكريمة. وفيما يأتي تفسير الآيات التي ذكرناه آنفاً.

الآية الأولى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[3]

---

[1] ينظر الأقوال: تفسير القرطبي: ١٣٧/٢٠، وتفسير ابن كثير: ٥٩٨/٤.

[2] ينظر تفسير القرطبي: ١٣٧/٢٠، وتفسير ابن كثير: ٥٩٨/٤، وروح المعاني: ١٩٤/٣٠، وصفوة التفاسير: ٢١٣/٢.

[3] سورة القدر الآية (٤).

قوله تعالى: ((تنزل الملائكة والروح فيها)) أي: تتنزل الملائكة في ليلة القدر ومعهم جبريل إلى الأرض في هذه الليلة، وهي جملة استئنافية مبينة لمناط فضل الليلة على تلك المدة المديدة، فضمير (فيها) لليلة، وذهب بعض العلماء إلى أن الجملة صفة (لألف شهر) والضمير لها. وليس بشيء.[1] وخص جبريل بالذكر لزيادة شرفه، وما يتنزلون إلا ((بإذن ربهم))؛ لأنهم (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) فهم بأمر الله تعالى ((من)) أجل ((كل أمر)) قدّره الله وقضاه لتلك السنة إلى السنة القابلة.

الآية الثانية: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾[2]

حينما تنحت السيدة مريم واعتزلت أهلها لتتفرغ لعبادة الله عز وجل، و((اتخذت)) لنفسها مكانا مستقلا، وجعلت بينها وبين قومها ستراً وحاجزاً يمنعهم من الوصول والتقرب إليها ((من دونهم حجاب))، وبينما هي جالسة للعبادة كبقية أيامها، ((أرسلنا إليها روحنا)) أرسل الله إليها ملكاً وهو جبريل عليه السلام، وسماه الله (روحنا) على سبيل المجاز محبة له وتقريباً[3]، ((فتمثل لها بشرا سويا)) وقد جاءها بصورة شابٍ أبيضَ الوجهِ جعد الشعر سويّ الخلق، لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئا، وتمثله بصورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر

---

[1] ينظر روح المعاني: ١٩٤/٣٠.
[2] سورة مريم: الاية (١٧).
[3] ينظر تفسير الكشاف: ٩/٣.

عنه، ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه. وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها.[1]

الآية الثالثة: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[2]

أي: أن القرآن الكريم الذي بين يديك يا محمد قد نزل به جبريلُ الأمينُ في السماء من الله تعالى عليك أنت الأمين في الأرض، وسمي جبريل (الروح) لانه سبب لحياة الناس بدين الله تعالى من الكفر الى الإيمان كما أن الروح سبب لحياة الانسان من الموت، وفي قراءة (نزّل به الروحَ الأمينَ)، أي: أن الله تعالى هو الذي أنزله والروح –جبريل– مفعول به.[3]

الآية الرابعة: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[4]

أي: ((قل)) يا محمد: لهؤلاء الكفار: إنما هذا القرآن الذي تسخرون منه ((نزله روح القدس)) جبريل الطاهر المبارك من الله تعالى ((بالحق ليثبت)) المؤمنين بما فيه من الحجج والبراهين فيزدادوا إيمانا ويقينا ((وهدى وبشرى)) وهداية وبشارة لهم ((للمسلمين))؛ لأنهم استسلموا وانقادوا لله تعالى ولم يكونوا مشككين. وقد سمي جبريل بـ (روح القدس) من إضافة الموصوف إلى الصفة أي الروح المقدسة جبريل لطهارته، والقدس هو الطهر والبركة –كما مر بيانه– فجبريل طاهر من المآثم ومن كل ما لا يليق بأمين السماء عليه السلام.

---

[1] ينظر تفسير الكشاف: ٩/٣، وزاد المسير : ٢١٧/٥، وصفوة التفاسير: ٢١٣/٢.
[2] سورة الشعراء: الآية (١٩٣).
[3] ينظر الإتحاف: ص ٣٣٤.
[4] سورة النحل: الاية١٠٢.

الآية الخامسة: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1]

ترتقي الملائكة الأبرار وتصعد ومعهم الروح –جبريل عليه السلام– ((إليه)) أي: إلى الله عز وجل، أو إلى المكان الذي أمرهم الله تعالى أن يعرجوا إليه، وهذا كقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: (إني ذاهب إلى ربي سيهدين)[2]، أراد أرض الشام، وقوله تعالى: (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله)،[3] أي: إلى المدينة. ((في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)) فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله ابن عباس والحسن وقتادة، وهذا هو مقدار يوم القيامة من وقت البعث إلى أن يفصل بين الخلق، والثاني: أن مقدار صعود الملائكة من أسفل الأرض إلى العرش لو صعده غيرهم قطعه في خمسين ألف سنة وهذا معنى قول مجاهد.[4]

الآية السادسة: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[5]

في ذلك اليوم الرهيب يوم القيامة يوم يقوم الجميع لله رب العالمين مصطفين وهذا حال الملائكة وإمامهم جبريل عليه السلام ((لا يتكلمون)) ولا يشفعون الا بشرطين أن يكون المتكلم منهم مأذوناً له في الكلام وأن يتكلم بالصواب والحق. فإذا

---

[1] سورة المعارج: الاية٤.
[2] سورة الصافات: الاية ٩٩.
[3] سورة النساء: الآية ١٠٠.
[4] ينظر صفوة التفاسير: ٣/٥١٠.
[5] سورة النبأ: الآية ٣٨.

كان الذين هم أفضل الخلائق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه تعالى لا يملكون التكلم بين يديه، فما هو حال من عداهم من أهل السموات والأرض. [1]

الآية السابعة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى .....﴾ [2]

يُذكّر الله تعالى بني اسرائيل بضرب من النعم التي أمدهم بها ثم قابلوها بالكفر والإجرام، كعادتهم في مقابلة الاحسان بالإساءة والنعمة بالجحود، فيقول: لقد ((آتينا)) أعطينا ((موسى الكتاب)): التوراة جملة واحدة، ((وقفينا من بعده بالرسل)) وأتبعنا على أثره الكثير من الرسل تترا، كداود وسليمان ويونس، ومنهم ((عيسى ابن مريم)) الذي أعطيناه الآيات ((البينات)) والمعجزات الواضحات الدالة على نبوته ورسالته، كإحياء الموتى وإبراء الاكمه وغيرها، ((وأيدناه)) وقويناه وشددنا أزره بـ((روح القدس)) جبريل عليه السلام. ((أفكلما جاءكم)) يابني إسرائيل ((رسول)) بالحق ((بما لاتهوى أنفسكم)) فلا يوافق هواكم ((استكبرتم)) وتعاليتم عن الإيمان به فكنتم مع رسلي على فريقين ((ففريقا كذبتم)) فمنكم من كذب وكفر بهم ((وفريقا تقتلون)) ومنكم من تحمل أبشع الجرائم مع كفره بأن قتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام. وهكذا تحومون على قتل محمد ﷺ. [3]

---

[1] ينظر تفسير ابن كثير: ٥٩٨/٤، تفسير الكشاف: ٥٢٠/٤، صفوة التفاسير:٥١٠/٣

[2] سورة البقرة٨٧

[3] ينظر تفسير الكشاف:١٢٤/١-١٢٥، وزاد المسير:١١٢/١، وتفسير القرطبي: ٢٦/٢-٢٧.

الآية الثامنة: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ .....﴾[1]

قال تعالى: ((تلك الرسل)) اولئك الرسل الذين قصصنا عليك من أنبائهم رسل حق وقد ((فضلنا بعضهم على بعض)) بخصائص ومنازل فـ ((منهم من كلم الله)) بلا وساطة كموسى عليه السلام، ((ورفع بعضهم درجات)) وبعضهم من رفع الله رتبته فجعله أعلى من غيره كسيدنا محمد ﷺ ، وعيسى الذي اعطاه الله ((الآيات)) البينات على صدقه كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وخلق الطير من الطين وأيدناه وقويناه بروح القدس جبريل عليه السلام، ((ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم))، أي: بعد الرسل ((من بعد ما جاءتهم البينات)) وألزمهم الحجج والبراهين، ((ولكن اختلفوا)) إنما اختلف الناس بعد كل نبي ((فمنهم من آمن ومنهم من كفر)) بغيا وحسدا على حطام الدنيا، وذلك كله بقضاء وقدر وإرادة من الله تعالى، ((ولو شاء الله)) تعالى خلاف ذلك لكان، ((وما اقتتلوا ولكن الله)) هو وحده المستأثر بسر الحكمة في ذلك فـ((يفعل ما يريد)).

الآية التاسعة: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ..... ﴾[2]

---

[1] سورة البقرة: الآية ٢٥٣.
[2] سورة المائدة: الآية ١١٠.

اذكر أيها الرسول حين قال الله يا عيسى مذكرا نعمته عليه وعلى والدته – مريم– التي اصطفاها، بقصد التعريف بمكانتهما وتوبيخ من اتخذهما إلهين، وبدأ تعالى بتعداد النعم العظيمة عليه، اذكر حينما قويتك يا عيسى بجبريل وجعلتك تكلم الناس وأنت ما زلت طفلا وأنت كهل كبير واذكر حين علمتك الكتابة والقراءة والفهم النافع وإذ تصور وتخلق من الطين طيراً متحركا، وتعيد للأعمى نور عينه وللأبرص برء جلده بل وتحيي الموتى من قبورهم وكل ذلك لا يكون الا بإذني فأنا الخالق لا أنت وإن كانت أفعالك في صورتها كأفعالي، فالفاعل الحقيقي أنا، واذكر كذلك حين صرفت ومنعت عنك بني إسرائيل حين همّو بقتلك وقالوا عنك ساحر واضح مبين سحره.

رابعا: بعض أوجه البلاغة في الآيات:

١. تقديم المفعول على الفعل وفاعله في قوله تعالى ((فريقا كذبتم)) ((وفريقا تقتلون)) للاهتمام وتشويق السامع الى ما يلقى اليه من الكلام.[١]

٢. التعبير بالمضارع ((تقتلون)) ولم يقل قتلتم كما قال كذبتم؛ لأن المضارع يستعمل في الأفعال الماضية التي بلغت من الفضاعة مبلغا عظيماً، فكأنه أحضر صورة قتل الأنبياء للسامع وجعله ينظر إليها بعينه فأصبحت حالا وواقعا ليكون إنكاره ابلغ واعظم.[٢]

٣. في قوله تعالى: ((تلك الرسل)) ولم يقل: ذلك، مراعاة لتأنيث لفظ الجماعة، والإشارة بالبعيد لبعد مرتبتهم في الكمال.[٣]

---

[١] ينظر صفوة التفاسير: ٧٨/١.
[٢] بنظر هامش تفسير الكشاف: ١٢٣/١.
[٣] ينظر روح المعاني: ٢/٣، صفوة التفاسير: ١٦١/١.

٤. الطباق في قوله تعالى ((منهم من آمن ومنهم من كفر)). [١]

٥. التكرار، في قوله تعالى ((بإذني)) مع كل معجزة توبيخا لمن نسب الربوبية الى عيسى ولبيان أنَّ الخوارق لاتكون إلاَّ بإذن الله يجريها على من يشاء من عباده.

خامساً: أهم الفوائد في الآيات:

١. للجمع بين آية المعارج (خمسين ألف سنة) وبين آية (ألف سنة) من سورة السجدة أقوال، أشهرها أن القيامة مواقف ومواطن فيها خمسون موطناً كل موطن ألف سنة... وهي مدة تخف على المؤمن بل حتى تكون أخف من ركعتين كان يصليها في الدنيا.[٢] فعن رسول اللهﷺ انه قال: يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فقيل: ما أطول هذا اليوم!؟ فقال النبيﷺ : والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا[٣]

٢. الأحاديث ثابتة بأن النبيﷺ قال: (لا تخيروا بين الأنبياء)[٤] و(لا تفضلوا بين أنبياء الله)[٥] رواهما الأئمة الثقات، أي: لا تقولوا: فلان خير من فلان ولا فلان أفضل من فلان،وقد اختلف العلماء في تأويل هذا المعنى فقال قوم: إن هذا كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل وقبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم وأن القرآن ناسخ للمنع من التفضيل. وقال آخرون: إنما أراد بقوله: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة؛ لأنه الشافع يومئذ وله لواء الحمد والحوض وأراد بقوله: لا تخيروني... على طريق

---

[١] ينظر صفوة التفاسير: ١/١٦١.
[٢] ينظر تفسير القرطبي: ١٤/٨٠، الدر المنثور : ٨/٢٧٩، وزاد المسير: ٨/٣٥٩.
[٣] أخرجه ابن حبان: ١٦/٣٢٩، وأحمد: ٣/ ٧٥ برقم [١١٧٣٥]، وأبو يعلى في مسنده:٢/٥٢٧، قال في مجمع الزوائد:١٠/٣٣٧ ((رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في راويه)).
[٤] رواه البخاري: ٢ /٨٥٠ برقم [٢٢٨١]، ومسلم: ٤/١٨٤٥ برقم [٢٣٧٤].
[٥] رواه البخاري: ٣/ ١٢٥٤ برقم [٣٢٣٣]، ومسلم:٤/ ١٨٤٣ برقم [٢٣٧٣].

التواضع، ومما يدل على أن رسول اللهﷺ أفضل من غيره أدلة لا تحصر، وليس ما أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ من السؤدد والفضل يوم القيامة على جميع الأنبياء والرسل بعمله بل بتفضيل الله إياه واختصاصه له.

ومنهم من قال: إنما نهى عن الخوض في ذلك لأن الخوض في ذلك ذريعة إلى الجدال وذلك يؤدي إلى أن يذكر منهم ما لا ينبغي أن يذكر ويَقل احترامهم عند المماراة، ومنهم من يقول: لا يقال: النبي أفضل من الأنبياء كلهم ولا من فلان ولا خير كما هو ظاهر النهي؛ لما يتوهم من النقص في المفضول؛ لأن النهي اقتضى منع إطلاق اللفظ لا منع اعتقاد ذلك المعنى فإن الله تعالى أخبر بأن الرسل متفاضلون فلا تقول: نبينا خير من الأنبياء ولا من فلان النبي اجتنابا لما نهى عنه وتأدبا به وعملا باعتقاد ما تضمنه القرآن من التفضيل والله بحقائق الأمور عليم.

وأحسن من هذا القول بإن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها وإنما التفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات المتباينات، وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وإنما تتفاضل بأمور أخر زائدة عليها، ولذلك منهم رسل وأولو عزم ومنهم من اتخذ خليلا ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى: (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا)[1] وقال: ((تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)) وهذا أحسن مما قيل؛ فإنه جمع بين الآي والأحاديث من غير نسخ[2].

---

[1] سورة الإسراء: الاية٥٥.
[2] ينظر تفسير القرطبي: ٣/٢٤٩

٣. في قوله تعالى: ((تُكلم الناس في المهد وكهلا)) ذكر الله عز وجل لعيسى آيتين: تكليمه الناس في المَهْد فهذه معجزة، والأُخْرى نزوله إلى الأَرض عند اقتراب الساعة كَهْلاً ابن ثلاثين سنة يكلِّم أُمة محمد وفيه إثبات أن سيدنا عيسى سيعود قبل قيام الساعة، وهو من العلامات الكبرى التي يجب الإيمان بها[١].

والأحاديث في نزوله – عليه السلام– كثيرة قد وصلت حد التواتر،كقوله ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال).[٢]

ولايقال كيف يرفع عيسى الى السماء وقد خلق مطبوعا على صفات لا تتفق مع معيشته في السماء، لأنا نقول: إن الله تعالى سلبه صفات البشرية وحمله بصفات الملكية فصار في السماء كالملائكة فإذا أراد الله إنزاله الى الأرض ألبسه صفات البشرية. والله على كل شيء قدير.[٣]

الفرع الثاني: الأنبياء

الوارد في هذا المجال آية واحدة ويعنى بها سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وهي قوله تعالى في سورة النساء:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا

---

[١] ينظر لسان العرب:١١/٦٠٠.
[٢] رواه البخاري: ٢/٧٧٤، برقم[٢١٠٩]، ومسلم: ١/١٣٥ برقم [١٥٥].
[٣] التاج الجامع: ٥/٣٥٨-٣٦٠.

خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [1]

أولا: معاني الألفاظ:

١. الغلو: غلا: الغَلاءُ: نَقِيضُ الرُّخْصِ. غَلاَ السِّعْرُ وغيرُه يَغْلُو غَلاءً، ممدود، فهو غالٍ و غَلِيٌّ؛ و أَغْلاهُ اللّه: جَعَلَه غالياً. و غالى بالشيء: اشْتَراهُ بثَمَنٍ غالٍ، وأَصلُ الغَلاء الارتفاعُ ومُجاوَزة القَدْرِ في كلِّ شيء. وغَلا في الدِّينِ والأَمْرِ يَغْلُو غُلُوّاً: جاوَزَ حَدَّه.[2]

٢. المسيح: المَسْحُ: القول الحَسَنُ من الرجل وهو في ذلك يَخْدَعُكَ، والمَسْحُ: إمرارك يدك على الشيء السائل أَو المتلطخ، تريد إذهابه بذلك كمسحك رأْسك من الماء وجبينك من الرَّشْح، مَسَحَه يَمْسَحُهُ مَسْحاً ومَسَّحَه، وتَمَسَّح منه وبه. ومَسِح، بالكسر مَسَحاً. ورجل أَمْسَحُ القَدَم والمرأَة مَسْحاء إذا كانت قَدَمُه مستويةً لا أَخْمَصَ لها. وفي صفة النبيﷺ: مَسِيحُ القدمين؛ أَراد أَنهما مَلْساوان لَيِّنَتانِ ليس فيهما تَكَسُّرٌ ولا شُقاقٌ، إذا أَصابهما الماء نَبا عنهما. ورجل مَمْسوح الوجه ومَسِيحٌ: ليس على أَحد شِقَّيْ وجهه عين ولا حاجبٌ. و المَسِيحُ الدَّجَّالُ: منه على هذه الصفة؛ والمَسِيحُ: الصِّدِّيقُ، وبه سمي سيدنا عيسى عليه السلام. [3]

٣. سبحانه: السَّبْحُ الفراغ والمجيء والذهاب والإكثار، والتَّسْبيحُ: التنزيه، وسُبْحَانَ اللّه: معناه التنزيه للّه عن كل ما لا ينبغي له أَن يوصف، وهو نصب على

---

[1] سورة النساء: الآية: ١٧١.
[2] ينظر لسان العرب:مادة غلا،١٥/١٣١-١٣٢ التعاريف:ص٥٤٠.
[3] ينظر لسان العرب:مادة مسح،٢/٥٩٣-٥٩٤.

المصدر كأنه قال أُبرئُ الله من كل سوء براءة، وسُبُحاتُ وجه الله تعالى بضمتين جلالته، وسَبَحَ في الكلام إذا أكثر فيه.[1]

ثانياً: أسباب النزول:

اختلف المفسرون في من نزلت الآية بحقه، على قولين:

الأول: قال مقاتل نزلت في نصارى نجران.

الثاني: قال الحسن نزلت في اليهود والنصارى.

فعلى القول الأول أن غلو النصارى في عيسى قول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو ابن الله، وقول بعضهم: هو ثالث ثلاثة، مع الكفر بمحمد ﷺ، وهو ما ذهب اليه جل المفسرين بقرينة: ((إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله)) إلى قوله: ((أن يكون عبدا لله)) فإنه بيان للمراد من إجمال قوله: ((لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق)).[2]

وعلى القول الثاني –قول الحسن–: بأن غلو اليهود في عيسى قولهم: أنه ولد لغير رشده، وإنهم طولبوا باتباع التوراة ورسولهم فتجاوزوه إلى بغض الرسل كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.[3]

ثالثا: التفسير:

((يا أهل الكتاب)) استئناف ابتدائي، وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عمّا هم عليه من الضلال البعيد، وابتدأ الله تعالى بموعظتهم بالنهي عن الغلو؛ لأن

---

[1] ينظر لسان العرب:مادة سبح،٤٧١/٢، ومختار الصحاح: مادة س ب ح، ص١١٩

[2] ينظر تفسير الطبري: ٣٧٢/٤، وتفسير القرطبي: ٢١/٦، وتفسير الوجيز للواحدي: ٣٣٠/١، وزاد المسير: ٢٦٠/٢، وروح المعاني: ٢٤/٦. والتحرير والتنوير: ١٠٧٠/١.

[3] ينظر زاد المسير: ٢٦٠/٢، وروح المعاني: ٢٤/٦.

النصارى غلوا في تعظيم عيسى فادعوا له بنوة الله وجعلوه ثالث الآلهة، ونهاهم عن الغلو؛ لأنه أصل لكثير من ضلالهم وتكذيبهم للرسل الصادقين، ((ولا تقولوا على الله إلا الحق))، عطف خاص على عام؛ للاهتمام بالنهي عن الافتراء الشنيع، وفعل القول إذا عدي بحرف ((على)) دل على أن نسبة القائل القول إلى المجرور بـ (على) نسبة كاذبة كما قال تعالى: (ويقولون على الله الكذب)، ومعنى القول على الله هنا: أن يقولوا شيئا يزعمون أنه من دينهم فإن الدين من شأنه أن يتلقى من عند الله عن طريق أحد رسله.[1] ((ولا تقولوا على الله إلا الحق))، أي: لا تذكروا ولا تعتقدوا إلا القول الحق دون القول المتضمن لدعوى الاتحاد والحلول واتخاذ الصاحبة والولد، ((إنما المسيح)) الصدِّيق، وسماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين ((عيسى ابن مريم)) —ابن مريم– صفة لعيسى مفيدة بطلان ما زعموه فيه من بنوته عليه السلام لله عز وجل، ((رسول الله)) جملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهى عن القول الباطل المستلزم للأمر بضده، أي: أنه عليه السلام مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها إلى ما تقولون،((وكلمته)) عطف على رسول الله ومعنى كونه كلمة: أنه حصل بكلمة (كن) من غير مادة معتادة، قال الغزالي: ((لكل مولود سبب قريب وبعيد، فالأول المني، والثاني قول كن، ولما دل الدليل على عدم القريب في حق عيسى عليه السلام أضافه إلى البعيد، وهو قول كن إشارة إلى انتفاء القريب))[2]، وأوضحه بقوله سبحانه: ((ألقاها الى مريم))، أي: أوصلها إليها وحصلها فيها فجعله كالمني الذي

---

[1] ينظر التحرير والتنوير:١/١٠٧٠.
[2] روح المعاني: ٦/٢٤.

يلقى في الرحم،[1] وأعلمها بها وأخبرها كما يقال: ألقيت إليك كلمة حسنة بمعنى: أخبرتك بها وكلمتك بها، ((وروح منه)) قال بعض العلماء: معنى قوله: (وروح منه) وروح مخلوق من عنده، ونفخة منه؛ لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في درع مريم بأمر الله إياه بذلك فنسب إلى أنه روح من الله؛ لأنه بأمره، وقال بعضهم: أنه كان إنسانا بإحياء الله له بقوله: كن، وقال آخرون: ورحمة منه، فجعل الله عيسى رحمة منه على من اتبعه وآمن به وصدقه؛ لأنه هداهم إلى سبيل الرشاد. ولكل هذه الأقوال وجه ومذهب غير بعيد من الصواب، ((فآمنوا بالله ورسله)) فصدقوا يا أهل الكتاب بوحدانية الله وربوبيته وأنه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاؤوكم به من عند الله وفيما أخبرتكم به أن الله واحد لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد له، ((ولا تقولوا ثلاثة)) ولا تقولوا: الأرباب ثلاثة، ورفعت الـ(ثلاثة) بمحذوف دل عليه الظاهر وهو–هم– ومعنى الكلام: ولا تقولوا هم ثلاثة، ثم قال لهم جل ثناؤه متوعدا لهم في قولهم العظيم الذي قالوه في الله: ((انتهوا)) أيها القائلون: –الله ثالث ثلاثة– عما تقولون من الزور والشرك بالله فإن الانتهاء عن ذلك ((خيراً لكم)) من قيله، ((إنما الله إله واحد))؛ لأن من كان له ولد فليس بإله، وكذلك من كان له صاحبة فغير جائز أن يكون إلها معبودا، ولكن الله الذي له الألوهة والعبادة إله واحد معبود لا ولد له ولا والد ولا صاحبة ولا شريك، ((سبحانه أن يكون له ولد)) علا الله وجل وعز وتعظم وتنزه عن أن يكون له ولد، ((له ما في السماوات وما في الأرض)) فعيسى وأمه ومن في السماوات ومن في الأرض عبيده وإماؤه وخلقه وأنه رازقهم وخالقهم وأنهم أهل حاجة وفاقة إليه

---

[1] ينظر روح المعاني: ٦/٢٤.

فكيف يكون المسيح ابنا لله وهو في الأرض أو في السماوات غير خارج من أن يكون في بعض هذه الأماكن!؟ ((وكفى بالله وكيلا)) كفى مدبرا ورازقا من الحاجة معه إلى غيره.[1]

رابعا: بعض أوجه البلاغة في الآيات:

١. ((يا أهل الكتاب)) لفظ عام أريد به الخصوص.

٢. في قوله تعالى: ((إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله)) قصر وهو من قصر الموصوف على الصفة.[2]

خامساً: أهم الفوائد في الآية:

النهي عن الغلو: الغلو تجاوز الحد المألوف كما مرَّ، واستعير للزيادة على المطلوب من المعقول أو المشروع في المعتقدات والأفعال، والغلو في الدين أن يظهر المتدين ما يفوت الحد الذي حدد له الدين. والغلو في الدين هو الإفراط والتفريط، فكلاهما تجاوز عن الحد المألوف الذي حده الشارع الحكيم، فمن أفرط في شيء من الدين أو فرّط به فهو مغال في دين الله تعالى، فمدح النبي محمدﷺ وتعظيمه، ليس من الغلو الا إذا تجاوز المادح الحد بأن جعله –حاشاه– رباً أو ابنا أو شريكا لله رب العالمين كما فعلت النصارى –لعنهم الله– وهذا ما نهانا عنه عليه الصلاة والسلام بقوله: ((لا تطروني كما أطرت النصارى بن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله))[3] نعم فرفع النبي ﷺ، عن منزلته غلو، قال الشاعر:

---

[1] ينظر تفسير الكشاف: ٤٥٦/١، وروح المعاني: ٢٤/٦، وصفوة التفاسير: ٣٢٢/١.
(٢) ينظر صفوة التفاسير: ٣٢٣/١
[3] رواه البخاري: ١٢٧١/٣.

دع مـا ادعتـه النصـارى في نبـيهم واحكم بما شئت مدحا فيـه واحـتكم[1]

وكما أن الزيادة غلو فالإقلال من شأنه غلو أيضاً، فليتنبه لـذلك مـن أحـب أن يوفقه الله تعالى،وإذا كان هذا في حق النبي ﷺ، ففي سـواه مـن بـاب الأولى، فمـن الغلو أن نسمع بعضاً ممن يجعل الفرد من آل البيـت كمقـام الـنبيﷺ، كمـا أن مـن الغلو مساواتهم كبقية الناس، والغلو بالصحابة ومن دونهم وهلمَّ جراً.

[1] البيت للإمام البوصيري في بردته المعروفة بردة المديح.

الفرع الثالث: سر حياة البشر.

وردت آيات كريمة في الروح التي هي سر الحياة فبها يتنفس الإنسان، ويتحرك البشر، وبها يدرك، ومن غيرها يكون الإنسان ميتا، وبها استجلاب المنافع واستدفاع المضار. وفيما يأتي الآيات التي بهذا الصدد وهي حسب الترتيب النزولي.

١) ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾.[١]

٢) ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.[٢]

٣) ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾.[٣]

٤) ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾.[٤]

٥) ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾.[٥]

---

[١] سورة ص الاية٧٢، وسورة الحجر الاية٢٩.
[٢] سورة الإسراء الاية٨٥.
[٣] سورة الأنبياء الاية٩١.
[٤] سورة السجدة الاية ٩.
[٥] سورة التحريم: الآية١٢.

أولا: معاني الألفاظ:

١. النفخ: نَفَخَ فيه ونَفَخَهُ، وبابه نصر، والنفخ: إرسال الهواء من منبعه بقوة، تقول: نَفَخْتُهُ فانْتَفَخ، والمِنفاخُ: ما يَنْفُخ به الإنسان في النّار وغيرها، نَفَخَ بفَمِه: أخْرَجَ منه الرِّيح كَنَفَّخَ، والنَّفْخُ: ارْتِفاعُ الضُّحى والفَخْرُ والكِبْرُ. [١]

٢. العلم: عَلِمَ يعلم علما، نقيض جهل، ورجل علامة وعلام وعليم، وأدخلت الهاء في –علامة– للتوكيد، والعلم هو إدراك الشيء بحقيقته، وهو على ضربين: أحدها إدراك ذات الشيء، وثانيها الحكم على الشيء بوجوده أو نفيه، فالأول متعد الى مفعول، والثاني الى مفعولين، والعلم من وجه آخر ضربان أيضاً: نظري وعملي، فالنظري: ما اذا علم فقد كمل، والعملي ما لا يتم الا بأن يعمل كالعلم بالعبادات، وله تقاسيم أخر.[٢]

٣. أحصنت: الحِصْنُ واحد الحُصُونِ يقال حِصْنٌ حَصِينٌ بين الحَصَانةِ وحَصَّنَ القرية تحصينا بنى حولها، وأحْصَنَ الرجل إذا تزوج فهو مُحْصَنٌ بفتح الصاد، وأحْصَنَتِ المرأة عفت وأحصنها زوجها فهي مُحْصَنةٌ ومُحْصِنَةٌ، كل امرأة عفيفة فهي محصَنة ومحصِنة وكل امرأة متزوجة فهي محصَنة بالفتح لا غير وحَصُنَتِ المرأة بالضم حُصْناً بوزن قفل أي عفت فهي حاصِنٌ.[٣]

---

[١] ينظر العين: ٢٧٧/٤، والتعاريف: ص٧٠٥.
[٢] ينظر العين:١٥٢/٢، والمفردات: ٣٤٥.
[٣] ينظر مختار الصحاح: مادة ح ص ن،ص: ٥٩.

ثانياً: أسباب النزول:

١. عن ابن مسعود ﷺ قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب[١] فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يُسمعكم ما تكرهون، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القاسم: حدثنا عن الروح، فقام ساعة ينظر فعرفت أنه يوحى إليه فتأخرت عنه حتى صعد الوحي، ثم قال: ((ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)).[٢]

٢. عن ابن عباسﷺ قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه: فنزلت ((إلا قليلا)).[٣]

٣. وروي أن اليهود قالوا لقريش: سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح، فإن أجاب عنها جميعا أو سكت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي، فبيّن لهم القصتين، وأبهم أمر الروح.[٤] وبتعدد هذه الروايات وغيرها دلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد سئل عن هذا الأمر أكثر من مرة. والله أعلم.

ثالثا: التفسير:

---

[١] العسيب من النَّخل: جريدة مستقيمة دقيقة يكشط خوصها، وجمعه عِسبان وثلاثة أعسبة، والذي لم يَنْبُتْ عليه الخُوصُ من السَّعَف. ينظر العين:٣٤٢/١، والقاموس المحيط:١٤٧/١.

[٢] رواه البخاري:٢٦٦١/٦.

[٣] رواه الترمذي في سننه:٣٠٤/٥ برقم [٣١٤٠]، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وابن حبان في صحيحه:٣٠١/١، والحاكم:٢/ ٥٧٩ برقم[٣٩٦١] وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[٤] ينظر تفسير أبي السعود:١٩٢/٥، وأخرجه ابن كثير في تفسيره مطولا: ٩٨/٣.

الآية الأولى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾.[1]

يقص الله تعالى حينما أعلم الملائكة بانه سيخلق انسانا من طين وهو آدم عليه السلام ليكون خليفته على هذه الأرض، وقال لهم ((فاذا سويته)) فأتممت خلقه بيدي على احسن صورة وأكملها ((ونفخت فيه من روحي)) ونفخت فيه الروح التي خلقتها فصار حياً ((فقعوا له ساجدين)) فاسجدوا إكراما له واعظاما، سجود تحية لا سجود عبادة.

الآية الثانية: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.[2]

روي عن ابن عباس أنه قال: إن الرُّوح قد نزل في القرآن بمنازل، ولكن قولوا كما قال الله عزّوجلّ: ((قل الروح من أَمر ربي وما أُوتيتم من العلم إلاَّ قليلاً)) أَي أَنكم لا تعلمونه.

مضمون السؤال الذي سأله المشركون أو اليهود هو حقيقة الروح وماهيته، أهو عبارة عن أجسام موجودة في داخل البدن متولدة من امتزاج الطبائع؟ أو هو عرض آخر قائم بهذه الأجسام؟، أو موجود مغاير للأجسام والأعراض.؟ فأجاب تعالى عنه: بأنه موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الأعراض، لا يعرف حقيقته أحد ولا يدركه عقل مهما بلغ من الفهم والحكمة؛ لأنه من أمر الله وحده وله شأن كبير،مبهماً له وتاركاً تفصيله ليعرف الإنسان عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم

---

[1] سورة ص الاية٧٢.
[2] سورة الإسراء الاية٨٥.

بوجودها، وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا فعجزه عن إدراك حقيقة مولاه أولى.

الآية الثالثة: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.[1]

واذكر أيها الرسول قصة مريم بنت عمران الصديقة ((التي أحصنت فرجها)) فحفظته من الحلال والحرام، فكانت آية في العفة والطهر والكرامة، ((فنفخنا فيها من روحنا)) فوضعنا سراً من أسرارنا في بطنها ونفخنا بقدرتنا في داخلها فأوجدنا عيسى، أو ونفخنا على من في بطنها وهو عيسى عليه السلام وأحييناه، ((وجعلناها وابنها آية)) دليلا واضحا وحجة لا تقبل الشك على قدرتنا، هذه الحجة ((للعالمين)) لجميع المخلوقات من العوالم الإنس والجن والملائكة وغيرهم.

الآية الرابعة: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾[2]

يقص الله لنا في هذه الآية كيف أنه تعالى قد خلق الإنسان ومراحل خلقه؛ ليبين لنا مدى عظم هذا المخلوق؛ ليدل بدوره على عظم الخالق جل جلاله فيقول: بعد أن خلقه من طين وجعل من تناسَلَ من سلالته يبتديء بماء ضعيف حقير عند طباع البشر وهو المني ((ثم سواه)) فقوّم أعضاءه وعدّل خلقته في رحم أمه، وبعد أن اكتمل لحمه وعظمه ((نفخ فيه من روحه)) فإذا هو في أكمل صورة حي، وبعد هذه النفخة ((جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة)) خلق هذه الحواس المهمة لحياتكم،

---

[1] سورة الأنبياء الاية٩١.
[2] سورة السجدة الاية ٩.

السمع لتسمع به الأصوات، والبصر لتبصر بـه طريقك في الحيـاة، والعقـل والفـؤاد لتدرك به الحق والهدى لتشكروه وتعبدوه كما يريد ولكنكم ((قليلا ما تشكرون)).

الآية الخامسة : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾.[1]

واذكر أيها النبي لمن آمن من أمتك مثلاً رائعا ممن سبقهم ليقتدوا بهـم وتسـلية لهـم عنـد مصـائبهم، ((مـريم ابنـة عمـران)) أم عيسـى الصـدّيقة الطـاهرة ((الـتي أحصنت فرجها)) لا كمـا يقـول اليهـود لعـنهم الله أنهـا زنـت ((فنفخنـا فيـه مـن روحنا)) فكان بهذه النفخة الطيبـة الطـاهرة الـتي مـن روحنـا عيسـى، ((وصـدقت بكلمات ربها وكتبـه)) بالشـريعة الـتي كانـت آنـذاك وكتبـه كلـها، ((وكانـت مـن القانتين)) المطيعين العابدين الخاشعين.

رابعا: بعض أوجه البلاغة في الآيات:

١. في قوله تعالى: ((من روحي)) و((من روحنا)) و((روحه)) أضاف الروح اليه وهي إضافة تشريف واهتمام، وهو من إضافة الصنعة للصانع، كما يقول بيتي وناقـة الله وغيرها.[2]

٢. الالتفات من الغيبة الى الخطاب ((وجعل لكم)) بعد أن قـال ((ثـم سـواه)) والسياق –فجعل له– والنكتة في الخطاب ان آدم قبل النفخ لم يكن أهلا للمخاطبـة لأنه لم يك حيا، فلما نفخ تعالى الروح فيه حسُن خطابه مع ذريته.[3]

---

[1] سورة التحريم: الآية١٢.
(٢) ينظر صفوة التفاسير: ٢/٢٧٨.
(٣) ينظر صفوة التفاسير: ٢/٥٠٧.

٣. للسائل ان يسأل ما السر في قوله تعالى ((فنفخنا فيها)) حيث أعاد الضمير على مريم، أما في سورة التحريم فقد أعاده الى عيسى أو الفرج فقال ((فيه))؟. والجواب: لما كان القصد في سورة الانبياء الى الإخبار عن حال مريم وابنها وأنهما جعلا آية للناس، وكان النفخ فيها مما جعلها حاملا. والحامل صفة الجملة فكأنه قال: والتي أحصنت فرجها فصيرها النفخ حاملا حتى ولدت والعادة جارية أن لا تحمل المرأة الا من فحل، فلما كان القصد التعجب من حالتها وإنها بالنفخ صارت حاملا رد الضمير الى جملتها، فكان قوله ((فيها)) اولى من ((فيه)) واما في سورة التحريم: فانه لم يكن القصد فيه الى التعجب من حالها بالحمل عن النفخ وولادتها لا عن ضراب الفحل، لم يكن القصد الى وصف جملتها بغير الصفة التي كانت عليه قبلها ما كان في آية الأنبياء، فجاء اللفظ على اصله. فاختلفا لذلك.[١]

٤. في قوله تعالى: ((وكانت من القانتين)) تغليب للذكور على الإناث وهو اسلوب بلاغي، والنكتة فيه أن مريم قد بلغت من القنوت لربها رتبة قنوت الرجال فكان حقا ان تخاطب معهم. وهو مصداق حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.[٢]

خامساً: أهم الفوائد في الآيات:

---

[١] تفسير الاسكافي: ص١٦٨.
[٢] أخرجه البخاري:٣/ ١٢٥٢، ومسلم:٤/١٨٨٦.

١) السجود لغير الله تعالى بقصد العبادة والتعظيم من علامات المشركين، فإنهم كانوا يسجدون للصنم، ومنهم من يسجد للشمس أو أي مخلوق من المخلوقات، أما إذا كانت بغير هذا القصد فهي لا تخلو –بلا شك– من منكر ينبغي الابتعاد عنه. بيد أن هذه الصورة المنكرة اذا فعلها أحد من المسلمين لا ينبغي التسرع بالحكم عليه بأنه كفر أو أشرك كما يفعله بعض الناس اليوم. والمسألة فيها أقوال وتفصيلات يرجع فيها عند علماء الكلام.

٢) للسؤال آداب معروفة في آداب التعلم والتعليم، ينبغي لكل مؤمن أن يتعرفها، من أهمها أن يقصد السائل طلب ما ينفع وما فيه خير دنيوي أو ديني أو ما يدفع به الشر.

الفرع الرابع: النور والرحمة

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١]

أولا: معاني الألفاظ:

١. حاد: الحَدُّ الحاجز بين الشيئين، وحد الشيء منتهاه، والحَدُّ المنع، ومنه قيل: للبواب حَدَّادٌ، وللسجان أيضا إما؛ لأنه يمنع عن الخروج، أو لأنه يعالج الحديد من القيود، والمَحْدُودُ الممنوع، وحَدَّهُ أقام عليه الحد، وإنما سمي

[١] سورة المجادلة: الآية٢٢.

حدا؛ لأنه يمنع من المعاودة، وأحَدَّتِ المرأة امتنعت عن الزينة والخضاب بعد وفاة زوجها فهي مُحِدٌّ، وكذا حَدَّتْ تحد بضم الحاء وكسرها حِداداً بالكسر فهي حَادٌّ، والمُحَادَّةُ المخالفة ومنع ما يجب عليك.[1]

٢. كتب: كَتَبَه كَتْباً وكِتاباً: خَطَّه ككَتَّبَه واكْتَتَبَه أو كَتَّبَه، اسْتَملاَه كاسْتَكْتَبَه، والكِتابُ: ما يُكْتَبُ فيه والدَّواةُ والتَّوْراةُ والصَّحيفةُ والفَرْضُ والحُكْمُ والقَدَرُ. والكُتْبَةُ بالضم: السَّيْرُ يُخْرَزُ به، وبالكسر: اكْتِتابُكَ كِتاباً تَنْسَخُه. والكاتبُ: العالِمُ، والإكْتابُ: تعليم الكِتابَةِ كالتَّكْتيبِ والإملاء، والمَكْتَبُ: مَوْضِعُ التَّعْليمِ، وقولُ البعض: الكُتَّابُ والمَكْتَبُ واحِدٌ غَلَطٌ، والكَتيبَةُ: الجَيْشُ أو الجِماعَةُ مِنَ المِئَةِ إلى الأَلْفِ. وتَكَتَّبوا: تَجمَّعوا.[2]

٣. حزب: الحِزْبُ –بالكسر–: الوِرْدُ والطَّائِفَةُ والسِّلاحُ وجَماعَةُ النَّاسِ. والأَحْزَابُ: جَمْعُهُ، وحازَبُوا وتَحَزَّبُوا: صاروا أحْزَاباً، وحَزَبَهُ الأَمْرُ: نَابَهُ واشْتَدَّ عَلَيه، والاسمُ: الحُزَابَةُ –بالضم– والحَزْبُ أيضاً كالمَصْدَرِ. وأمْرٌ حازِبٌ وحَزِيبٌ: شَدِيدٌ، جمعه: حُزْبٌ.[3]

ثانياً: أسباب النزول:

اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية على أقوال أهمها ما يأتي:

١. نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر.[4]

---

[1] ينظر مختار الصحاح: مادة حدد، ص١٦٧.
[2] ينظر القاموس المحيط:١/ ١٦٥.
[3] ينظر القاموس المحيط: ١/ ٩٤.
[4] ينظر لباب النقول: ص٢٠٦، وتفسير ابن كثير:٢/٤٥١، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك:٣/٢٩٦ برقم [٥١٥٢]. والبيهقي في سننه الكبرى:٩/ ٢٧ وقال فيه: ((هذا منقطع)).

٢. حدث أن أبا قحافة – والد أبي بكر– سب النبي ﷺ، فصكَّه أبو بكر، فسقط، فذكر للنبيﷺ، فقال: أفعلت يا أبا بكر، فقال: نعم والله، لو كان السيف قريبا مني لضربته. فنزلت: ((لا تجد قوما...)) الآية.[١]

٣. وقيل: نزلت في أبي عبيدة حيث قتل أباه، وفي أبي بكر حين همَّ بقتل ابنه عبدالرحمن يوم بدر، وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وفي علي كرم الله تعالى وجهه وحمزة وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر.[٢] وهذا ترتيب المفسرين.

٤. وقيل: إن قوله تعالى: ((لا تجد قوما....)) الخ نزل في حاطب بن أبي بلتعة لأنه من المنافقين الموالين لليهود. [٣]

وأياً ما كان فحكم الآيات عام وإن نزلت في أناس مخصوصين. والله تعالى أعلم.[٤]

ثالثا: التفسير:

يقول الله تعالى مخاطباً نبيه وكل من يسمع من أمته فالخطاب عام وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم أول المخاطبين، ((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله))، أي لا تجد قوما جامعين بين الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وبين موادة أعداء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فمن الممتنع

---

[١] ينظر لباب النقول: ص٢٠٦.
[٢] ينظر روح المعاني: ٣٦/٢٨، وصفوة التفاسير: ٣٤٤/٣.
[٣] ينظر روح المعاني: ٣٦/٢٨.
[٤] ينظر روح المعاني: ٣٦/٢٨.

المحال أن تجد قوما مؤمنين يوادون المشركين والكافرين، والغرض من الاية أنه لا ينبغي أن يكون ذلك، وهو نفي أريد به النهي، وقيل: المراد لا تجد قوما كاملي الإيمان على هذه الحال، والمراد بموادة المحادين موالاتهم ومناصرتهم، وقوله تعالى: ((من حاد الله ورسوله)) ظاهر في الكافر ويشمل الفاسق؛ فالأخبار مصرحة بالنهي عن موالاة الفاسقين كالمشركين. ((ولو كانوا آباءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم)) ولو كان أقرب الناس اليه فالمؤمن الذي أحب الله ورسوله لايجمع بين من يحب وبين عدو محبوبه. وليس المراد بمن ذكر خصوصهم وإنما المراد الأقارب مطلقا، وقدم الآباء؛ لأنه يجب على أبنائهم طاعتهم، وثنى بالأبناء؛ لأنهم أعلق بهم لكونهم أكبادهم، وثلث بالإخوان؛ لأنهم الناصرون لهم، وختم بالعشيرة؛ لأن الاعتماد عليهم والتناصر بهم بعد الأخوان غالبا، ((أولئك)) إشارة إلى الذين لا يوادونهم وإن كانوا أقرب الناس إليهم وأمسهم رحما بهم، قوله تعالى: ((كتب في قلوبهم الإيمان))، أي: أثبته الله تعالى فيها، ((وأيدهم)) بعد ما أثبت الايمان في قلوبهم وقواهم ((بروح منه))، من عنده عز وجل.

والمراد بالروح هنا: نور القلب وهو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده تحصل به الطمأنينة، وسمي روحا؛ لأنه سبب للحياة الطيبة الأبدية.

وقوله تعالى: ((ويدخلهم)) بيان لآثار رحمته تعالى الأخروية إثر بيان ألطافه سبحانه الدنيوية، أي ويدخلهم في الآخرة ((جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها)) أبد الآبدين، ((رضي الله عنهم)) وهي كمال النعم بل وأجلها فبعد إدخالهم الجنة يحل عليهم تعالى رضوانه، ((ورضوا عنه)) بيان لابتهاجهم بما أوتوه.

وقوله تعالى: ((أولئك حزب الله)) تشريف لهم ببيان اختصاصهم به تعالى ((ألا إن حزب الله هم المفلحون)) بسعادة الدارين.

رابعا: بعض أوجه البلاغة في الآيات:

١. ((أولئك)) فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل.

٢. أكد الله سبحانه لمن يؤمن به ولا يقدم محبة على محبته ومحبة رسوله أن له الفلاح والغلبة بفنون من المؤكدات مثل: ((ألا)) ((إنّ)) ((هم)).[١]

خامساً: أهم الفوائد في الآية:

١. كل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة، ومنصور في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ((وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)).[٢]

٢. في هذه الآية الكريمة يبين لنا ربنا تعالى أن على من آمن به وبرسله وباليوم الآخر فإن من أبرز علامات إيمانه الصادق حبه لله وفي الله وبالله، وأن لا يقدم على محبته ومحبة نبيه شيئاً بل إنه لا يكمل الإيمان الا بهذا، مشى النبيﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: يا رسول الله: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبيﷺ: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبيﷺ: الآن يا عمر.[٣] وقال عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم

---

(١) ينظر صفوة التفاسير: ٣/٣٤٥.
(٢) سورة المائدة: الآية ٥٦.
(٣) رواه البخاري: ٦/ ٢٤٤٥.

حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين).[1] بل إن من مقتضى محبة الله ورسوله محبة عباد الله المؤمنين وبغض أعداء الله فلا يجتمع حب الله وحب أعدائه في قلب مؤمن. قال رسول اللهﷺ: (أوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله).[2] وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: اللهم لا تجعل لفاجر – وفي رواية – ولا لفاسق عليَّ يدا ولا نعمة فيودّه قلبي فإني وجدت فيما أوحيت إلى ((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله))[3]. فمن صحح إيمانه وأخلص توحيده فإنه لا يأنس إلى مبتدع ولا يجالسه ولا يؤاكله ولا يصاحبه، ومن داهن مبتدعا سلبه الله تعالى حلاوة السنن ومن تحبب إلى مبتدع يطلب عزَّ الدنيا أو عرضا منها أذله الله تعالى بذلك العز وأفقره بذلك الغنى، ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله تعالى نور الإيمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب.[4] ومن العجيب أن بعض المنتسبين إلى الدين والتدين –وليس منهم ولا قلامة ظفر– يوالي الظَّلَمَة، بل من لا علاقة له بالدين منهم وبنصره بالباطل ويظهر من محبتهم ما يضيق عن شرحه صدر القرطاس، وإذا تليت عليه آيات الله تعالى وأحاديث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الزاجرة عن مثل ذلك يقول: سأعالج قلبي بقراءة كذا وكذا، أو يقول: هذا أمر لابد منه لمصلحة الدنيا، الخ، وهذا لعمري هو الضلال البعيد وينبغي للمؤمنين اجتناب مثل هؤلاء ولو كانوا أقرباءهم وعشيرتهم.

---

[1] رواه البخاري:١/١٤.
[2] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٦/١٧٠.
[3] الفردوس بمأثور الخطاب: ١/ ٤٩٣ عن معاذ بن جبل ، وهو ضعيف.
[4] ينظر روح المعاني: ٢٨/٣٥.

٣. إن كانت الموالاة باعتقاد أن الله تعالى لا يقدر على استدفاع الشر واستقبال الخير أو نحو ذلك فذلك مما لا ريب في أنه كفر، وإن خلا عن نحو هذا الاعتقاد ولم يكن فيه تهاون وعدم مبالاة بالله تعالى فذلك كبيرة من الكبائر.[١]

٤. في الآية دليل على خروج العمل من مفهوم الإيمان، رداً على من قال بأن العمل جزء من الإيمان؛ فإن جزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من أعمال الجوارح يثبت فيه قال تعالى ((أولئك كتب في قلوبهم الإيمان)).[٢]

---

[١] ينظر روح المعاني :١٣/٩.
[٢] ينظر: روح المعاني: ٢٨/ ٣٥.

الفرع الخامس: الوحي والقرآن

ما بقي من الآيات التي ورد ذكر الروح فيها إنما تعنى بها الوحي من الله تعالى وكتابه القرآن العزيز، على أرجح أقوال المفسرين، وهي كما يأتي مرتبة حسب الترتيب النزولي للقرآن الكريم:

١) ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [١]

٢) ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٢]

٣) ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَا أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾ [٣]

أولا: معاني الألفاظ:

١. لينذروا: الإنذار: الإبلاغ والإعلام ولا يكون إلاّ في التخويف، وقد يتقدم التخويف على الإبلاغ وقد يتأخر، والاسم منه النُّذُر، وتناذر القوم كذا خوّف بعضهم بعضا، ونَذِرَ القومُ عَلموا.[٤]

٢. التلاق: لَقِيَهُ لِقَاءً –بالكسر والمد– ولُقًى –بالضم والقصر– ولُقْيّاً –بالضم والتشديد– ولُقْيَاناً ولُقْيَانَةً، ألْقَى إليه المودة وبالمودة والْتَقَوْا وتَلاَقَوْا بمعنى، واسْتَلْقَى

---

[١] سورة غافر الاية١٥.
[٢] سورة الشورى الاية٥٢.
[٣] سورة النحل الآية ٢.
[٤] ينظر القاموس المحيط: ١٤٥/٢، ومختار الصحاح: مادة ن ذ ر،ص٦٥٣.

على قفاه وتَلَقَّاهُ، أي: استقبله، والتِّلْقَاءُ أيضا مصدر مثل اللِّقَاءُ.[1] واللُّقيانُ: كلُّ شَيْئَينِ يَلْقَى أحَدُهما صاحِبَهِ فهُما لَقِيان، ولاقيت بين فلانٍ وفلان وبين طَرَفِي القضيب ونحوه حتى تلاقَيا واجتَمَعَا وكلُّ شيءٍ من الأشياء إذا استَقْبَلَ شيَئاً أو صادَفَه لَقِيَه،[2] ويوم الالتقاء، أي: يوم يلتقي أهل الأرض وأهل السماء، والخالق والمخلوق.[3]

٣. اتقون: وقى: كلّ ما وَقَى شيئاً فهو وقاء له ووِقاية، ورجل تقيٌّ وقيٌّ بمعنى، والتّقْوَى في الأصل: وَقْوَى –وزن فَعْلَى– من وَقَيْتُ فلمّا فُتِحَتْ أبدلت تاءً فتُركت في تصريف الفعل في التُّقَى، والتَّقْوَى والتُّقاة والتَّقيّة، والتُّقاة جمع وتُجمع على تُقِيّ أيضاً[4]، فالتقوى والاتقاء: هو اتخاذ الوقاية، وعند أهل الحقيقة: هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، أو هو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك،والتقوى في الطاعة: يراد بها الإخلاص،وفي المعصية الترك والحذر،وقيل غير ذلك.[5]

---

(١) ينظر: مختار الصحاح: مادة ل ق ي ، ص٦١٢.
(٢) ينظر كتاب العين:٥/٢١٥.
(٣) ينظر التبيان تفسير غريب القرآن: ص ٣٦٧.
(٤) ينظر كتاب العين:٥ /٢٣٨.
(٥) ينظر التعريفات: ص٩٠.

ثانياً: أسباب النزول:

بعد التتبع والإمعان في مظان هذا المجال –فيما لدي من مصادر– لم أجد أحداً من العلماء قد ذكر لهذه الآيات سببا للنزول.

ثالثا: التفسير:

الآية الأولى: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾

يقول الله تعالى: ((رفيع)) صفة مشبهة أضيفت إلى فاعلها، من رفع الشيء – بالضم– إذا علا، و((الدرجات)) مصاعد الملائكة عليهم السلام إلى أن يبلغوا العرش، أي: رافع درجات ملائكته ومعارجهم إلى عرشه، وفسرها ابن عباس بالسماوات، أي: رفع سماء فوق سماء والعرش فوقهن، ووصفه عز وجل بذلك للدلالة على سبيل الإدماج على عزته سبحانه وملكوته جل شأنه، ويجوز أن يكون كناية عن رفعة شأنه وسلطانه عزَّ شأنه كما أن ((ذو العرش)) كناية عن ملكه جل جلاله، وقيل: هي درجات ثوابه التي ينزلها أولياءه تعالى يوم القيامة، وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً وهذا القول أنسب بقوله تعالى: (فادعوا الله مخلصين له الدين)[1]، والمعنى الأول – أي قول: مصاعد الملائكة – أنسب بقوله تعالى: ((يلقى الروح من أمره))؛ لتضمنه ذكر الملائكة عليهم السلام وهم المنزلون بالروح كما قال سبحانه: (ينزل الملائكة بالروح من أمره)[2] [3]. والمعنيان محتملان، والله اعلم.

---

[1] سورة غافر: جزء من الاية ١٤.
[2] سورة النحل جزء من الآية ٢.
[3] ينظر روح المعاني: ٢٤/٥٥.

((يلقي الروح)) الروح هنا الوحي أو القرآن، وهذا ما ذهب اليه جل المفسرين[1]، وذلك جار من القلوب مجرى الروح في الأجساد، وإنما سمي القرآن والوحي روحا؛ لأن قوام الدين به كما أن قوام البدن بالروح، ((من أمره)) (من) إما بيانية للروح أو سببية أو تعليلية، أي: يلقي الروح الناشئة من أمره، أو بسبب أمره أو لأجله، وكل حق، ((على من يشاء من عباده)) وهو الذي اصطفاه سبحانه لرسالته وتبليغ أحكامه، ((لينذر)) أي: ذلك النبي والرسول الذي ألقى الله اليه الوحي ((يوم التلاق))، يوم القيامة وأثبت ياء التلاقي بعض القراء[2]، وهو يوم يلتقي أهل السماء والأرض ويلتقي فيه الأولون والآخرون والخلق والخالق وفيه يلتقي المظلوم والظالم وكل امرئ يلتقي بعمله.[3]

الآية الثانية: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

قوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ))، أي: مثل ما أوحينا الى غيرك من الرسل أوحينا اليك يا نبيي ويا رسولي ((روحاً من أمرنا)) وهو القرآن الكريم وهو من أمر الله تعالى، وسمي القرآن روحاً؛ لأن القلوب به تحيا، وقد مرَّ، ((مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ)) ما كنت تعرف قبل الوحي إليك شيئا من القرآن؛ لأنك أمي

---

[1] ينظر تفسير الطبري: ١١/ ٤٦، تفسير القرطبي :١٥ / ٢٦٢، تفسير أبي السعود: ٧/ ٢٧١، روح المعاني: ٢٤/ ٥٥، صفوة التفاسير: ٣/ ٩٦.

[2] وهم: ابن كثير ويعقوب، وأبو جعفر وافقهما في الوصل فقط، وبقية القراء بغير ياء في الحالين. ينظر زاد المسير:٧/ ٢١١، والاتحاف: ص٣٧٨.

[3] ينظر زاد المسير:٧/ ٢١١،روح المعاني:٢٤/ ٥٥-٥٦، وصفوة التفاسير:٣/ ٩٦.

ولأنه لم يوجد، وما كنت تعرف الإيمان المتضمن مختلف الشرائع، ((ولكن جعلناه)) أي: هذا القرآن الذي أوحيناه إليك ((نوراً)) مضيئا ودليلاً على التوحيد والإيمان ((نهدي به من نشاء من عبادنا)) نرشد بهذا القرآن وبهذا الوحي من نريد هدايته من العباد، ((وإنك)) يا محمد يا نبيي: ((لتهدي الى صراط مستقيم)) لتعلم وتنير عبادنا وترشدهم الى طريق واضح نيّر.

الآية الثالثة: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾

تناسب اتصال هذه الآية بما قبلها من أنه صلى الله عليه وسلم لَّما أخبرهم عن الله تعالى أنه قد قرُب أمرُه ونهاهم عن الاستعجال، ترددوا في الطريق التي علم بها رسول الله ﷺ بذلك، فأخبر أنه علم بها بالوحي على ألسن رسل الله سبحانه من ملائكته بإتيان ما أوعد به وباقترابه، فانه تعالى ((ينزل الملائكة بالروح)) بالوحي، ((أن أنذروا)) أي أعلموا وأخبروا وقولوا لمن لم يؤمن وأشرك بي شيئا: أن يوحدوني ويقولوا: ((لا إله إلا أنا)) لا معبود بحق في الوجود إلا أنا الله الذي خلقتكم وأنعمت عليكم وأرسلت اليكم أنبيائي ورسلي ليهدوكم ويعلموكم الطريق الصحيح، فإن لم تؤمنوا ((فاتقون)) فخافوني يوم التلاقي معكم فاني جازيكم بما عملتم ولا أظلم ذلك اليوم أحداً.

رابعا: بعض أوجه البلاغة في الآيات:

١. قوله تعالى: ((يلقي الروح)) استمرار تجددي مفهوم من ((يلقي))؛ فإن الإلقاء لم يزل من آدم عليه السلام إلى انتهاء زمان نبينا ﷺ وهو في حكم المتصل إلى قيام الساعة بإقامة من يقوم بالدعوة،على ما روي عن النبيﷺ أنه قال: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها.[1]

٢. ((الملائكة)) لفظ عام اريد به الخصوص أي بعض الملائكة. وهو باب من أبواب الإعجاز القرآني.

٣. في قوله تعالى ((يلقي)) و ((التلاق)). جناس.

٤. قدم قوله تعالى: ((لا إله إلا أنا)) على قوله سبحانه: ((فاتقون)) للإشارة إلى ما يستند إلى القوة النظرية والفكرية بأنها أعلى كمالا مما يستند إلى القوة العملية الحاصلة بالتقوى.[2]

٥. جمال السياق: في الآية الثانية.. كان التعبير القرآني بنون العظمة الإلهية فـ (أوحينا، جعلنا، نشاء، عبادنا)، ولذا كان السياق (من أمرنا)، اما الآية الأولى والثالثة فان السياق جاء مفرداً (يلقي،يشاء، ينزل) فجاء المناسب (من أمره). وهذه روعة التعبير القرآني.

---

[1] رواه أبو داود:٤/ ١٠٩ باب ما يذكر في قرن المائة، [٤٢٩١]، وقال أبو داود: رواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني لم يجز به شراحيل، والحاكم في المستدرك :٥٦٧/٤ برقم [٨٥٩٢]. ((قال الزين العراقي وغيره سنده صحيح)).فيض القدير :٢٨٢/٢. وينظر الاستدلال في تفسير روح المعاني: ٥٦/٢٤.

[2] ينظر روح المعاني:٩٦/١٤.

خامساً: أهم الفوائد في الآيات:

١. في قوله تعالى: ((وإنك لتهدي الى صراط مستقيم)) نسبة الهداية الى النبي صلى الله عليه وسلم مسألة أكثر فيها البحث وأطال فيها من أطال أوجزها بما يأتي:

أ- أنها من باب التجوز وهو مجال واسع تحتمله لغة القرآن.

ب- أنها بمعنى الدلالة والبيان. وهو في حق النبي جائز.

ت- قال بعض أهل العلم: إن تعدت -الهداية- إلى المفعول الثاني بنفسها كانت بمعنى الإيصال ولا تسند إلا إليه تعالى، كما في (اهدنا الصراط المستقيم)[١]، وإن تعدت باللام أو إلى كانت بمعنى إرادة الطريق فكما تسند إليه سبحانه تسند إلى القرآن كقوله تعالى (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)[٢] وإلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كهذه الآية. وهذا القول منتقض بقوله تعالى: -حكاية عن إبراهيم عليه السلام- (يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فأتبعني أهدك صراطا سويا)[٣]، وعن مؤمن آل فرعون: (يا قوم أتبعوني أهدكم سبيل الرشاد)[٤]

ث- قال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى: ((والكل من هذه الآراء غير خال عن خلل)) وقد أطال بالرد وفصل وأجاد مما يطول علينا المقام بسرده. ولذلك ارتأى القول بالاشتراك اللغوي.[٥] على أنه لابد أن يعلم أنَّ الهدى وهو ما يقر في القلب

---

[١] سورة الفاتحة: الاية ٥.
[٢] سورة الإسراء: الاية ٩.
[٣] سورة مريم: الآية ٤٣.
[٤] سورة غافر: الاية ٣٨.
[٥] ينظر روح المعاني: ٩٢/١.

من الإيمان هذا مما لا يقدر على خلقه في قلوب العباد إلا الله عز وجل. وهذا من التوحيد المحض الذي لا مراء ولا شك فيه.

٢. الفرق بين قوله تعالى ((أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أنا)) وبين ((لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ))، لماذا اختلف الجواب بعد الإنذار؟ وقد استوقفني هذا الفرق كثيراً، وبعد التتبع والبحث –فيما بين يدي من مصادر– لم أجد من العلماء من صرح بما يشفي الغليل، ولعلني أستطيع القول –والله أعلى وأعلم–: بأن الانذار في الآية الاولى يتضمن معنى الإخبار والقول... أي أن الله تعالى ينزل الملائكة بالوحي من عنده ليخبروا ويقولوا للمشركين بأن يقولوا: لا إله الا الله؛ وذلك لأن سياق الآية وتناسبها مع ما قبلها مقتض لذلك فقد قال تعالى: (أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ). أما الآية الثانية فإن الإنذار خرج إلى معنى آخر وهو التحذير والتخويف، أي ان الله تعالى المتصف بصفات الملك والجبروت والعظمة والكبرياء يلقي الوحي على الرسل ليخوفوا ويحذروا كل من لم يؤمن بأنه سيرى عاقبة شركهم وكفرهم يوم التلاق. والسياق حاكم بذلك. والله أعلم.

الخاتمة

بعد الإمعان في آيات الروح في القرآن الكريم، أوجز أهم ما مرّ فيها بما يأتي:

١. للروح أسماء بحسب ظهوراته ومراتبه والسياق الذي يأتي فيه التعبير القرآني، فهو السرُّ الخفي والنَّفَس والقرآن والوحي وجبريل وعيسى.

٢. الروح روحان: إنسانية: وهي اللطيفة الربانية العالمة المدركة في الإنسان، نازلة من عالم الأمر، تعجز العقول عن إدراك كنهها.[1] وحيوانية: وهي جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وتنتشر بوساطة العروق إلى آخر سائر أجزاء البدن.

٣. وردت الروح في القرآن الكريم على وجوه عدة، يجمعها قولنا: كل ما تقوم به الحياة ومن غيره يكون الموت مصير الإنسان، والحياة إما أن تكون حقيقة وهي التي بها حركة الجسم، وإما مجازاً وهي حياة القلب بالإيمان والتقوى والقرآن والقرب من الله تعالى.

٤. علّمنا ربنا تبارك وتعالى وأدبنا بأن لا نبحث عما لا يدركه العقل البشري ولا نغوص بما ليس فيه فائدة، فغاية علمنا بالروح من أي شيء خلقت؟ أنه من أمر ربي، وما أوتينا من العلم —مهما تقدمنا– إلا قليلا. نعم فأي لفظ يدرك هذا المضمار، وأي فصيح يهتدي إلى هذا النظم الرباني الحكيم.

وتمام ما كتبت يدي، وجرى به قلمي... سبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، أستغفر الله وأتوب إليه.

---

[1] التعريفات: ص ١٥٠.

المصادر

- القرآن الكريم

١. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، لأحمد بن عبد الغني الدمياطي (ت١١١٧هـ)، تصحيح وتعليق علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت–لبنان.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،لمحمد بن محمد العمادي أبي السعود، نشر دار إحياء التراث العربي — بيروت.

٣. إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر دار المعارف – القاهرة.

٤. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: لخير الدين الزركلي (ت١٩٧٦م)، دار العلم للملايين ، بيروت– لبنان، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٠م.

٥. البرهان في علوم القرآن:لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبي عبدالله نشر: دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم .

٦. التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، للشيخ منصور علي ناصف، دار الفكر —بيروت– الطبعة الرابعة، ١٣٩٥–١٩٧٥.

٧. التبيان في تفسير غريب القرآن:شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: د.فتحي أنور الدابولي نشر دار الصحابة للتراث بطنطا — القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

٨. التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، نشر دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥.

٩. تفسير ابن جرير المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لأبي جعفر جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م

١٠.تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبد الله محمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١١.تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: لمحمود جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧-٢٠٠٦.

١٢.تقريب التهذيب: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد عوامة، نشر دار الرشيد، سوريا،١٤٠٦ – ١٩٨٦، الطبعة الأولى.

١٣.تنزيل القرآن: ابن شهاب الزهري، نشر: دار الكتاب الحديث – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠،تحقيق : د. صلاح الدين المنجد.

١٤.التوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، نشر: دار الفكر- بيروت , دمشق، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ

١٥.الجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ٢٥٦هـ، تحقيق د.مصطفى ديب البغا، نشر دار ابن كثير, اليمامة: بيروت، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة الثالثة.

١٦.الدر المنثور بالتفسير بالمأثور: لجلال الدين السيوطي، نشر: دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٣.

١٧.درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، لأبي عبدالله محمد المعروف بالخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ)، برواية ابن أبي الفرج الاردستاني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

١٨.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي أبو الفضل، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٩.زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، نشر: المكتب الإسلامي – بيروت،ط٣، ١٤٠٤هـ.

٢٠.سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٢١.سنن الترمذي المسمى بـ(الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى ابن سورة (ت٢٧٩هـ)، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٢٢.صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م.

٢٣.صحيح مسلم،مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤.صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت،ط٦، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥.

٢٥.فيض القدير شرح الجامع الصغير:عبد الرؤوف المناوي، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦، الطبعة الأولى.

٢٦.القاموس المحيط: لمجد الدين محمد الفيروز آبادي، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧١-١٩٥٢.

٢٧.كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي. نشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٨.لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، نشر دار إحياء العلوم — بيروت.

٢٩.لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، نشر: دار صادر — بيروت،ط١.

٣٠.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، نشر: دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ.

٣١.مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، نشر: مكتبة لبنان ناشرون — بيروت، ١٤١٥ — ١٩٩٥.

٣٢.المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ — ١٩٩٠

٣٣.مسند أبي يعلى: أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد،نشر:دار المأمون للتراث—دمشق،الطبعة الأولى، ١٤٠٤ — ١٩٨٤.

٣٤.مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل الشيباني، نشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة

٣٥.المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق : كمال يوسف الحوت، نشر : مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩.

٣٦.النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، نشر: المكتبة العلمية-بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.